Al-Mukhtar Journal of Social Science 44 (1): 150-167, 2026
Doi: https://doi.org/10.54172/xhg8fc95

Research Article Open Access

النشاط الاقتصادي في إقليم برقه خلال عصر الدولة الفاطمية (301هـ-567هـ /913-1171م)

أسامة الشيلابي[1]*

الباحث الاول[1]*:
قسم التاريخ، جامعة اجدابيا، ليبيا

المستخلص: ساهم إقليم برقه في تمهيد الطريق لقيام الدولة الفاطمية في مصر، رغم ذلك لم تنعم الدولة الفاطمية بالسيطرة والتبعية الكاملة لإقليم برقه، في حين ساهمت عوامل متعددة في بلورة وازدهار النشاط الاقتصادي من خلال توفر المناخ المعتدل ومصادر المياه وخصوبة التربة، إلى جانب تطور حركة الملاحة البحرية في توفر خطوط تجارية بين موانئ برقه والإسكندرية ساهمت في تنشيط الحركة الاقتصادية.

الكلمات المفتاحية. الدولة الفاطمية، إقليم برقه، الاقتصاد، الزراعة

[1]***Corresponding author:**
Osama S. El-Shilabi
osama_elshilabi1979@yahoo.com.my
Department of History,
University of Ajdabiya,
Libya

Received:
17-01-2026

Accepted:
10-02-2026

Publish online:
30-04-2026

Economic Activity in the Barqa Region during the Fatimid State Era (301–567 AH / 913–1171 CE)

Abstract: The Barqa region contributed to paving the way for the establishment of the Fatimid state in Egypt, Although, the Fatimid state did not have complete control and dependence on the Barqa region, while multiple factors contributed to the crystallization and prosperity of economic activity ,including its moderate climate, water sources, and soil fertility, in addition to the development of maritime navigation and trade lines between Barqa's ports and Alexandria, which contributed to stimulating economic movement.

Keywords: The Fatimid State, The Barqa region, Economy, Agriculture.

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة

لعب إقليم برقه دورا محوريا في نجاح السيطرة الفاطمية على بلاد مصر، حيث خلقت أراضيه جسرا سياسيا وعسكريا ولوجستيا لضمان ظفر الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب بالسيطرة على الأراضي المصرية، وظلت تلك السيطرة على إقليم برقه سياسية فقط فكان الإقليم منبع للحركات السياسية والعسكرية المتمردة.

توافرت العديد من العوامل المؤثرة في ازدهار النشاط الاقتصادي في إقليم برقه من خلال المناخ المعتدل والتربة الخصبة والغطاء النباتي الواسع والتضاريس المتنوعة والموقع الجغرافي المميز الذي يتوسط بلاد المشرق والمغرب ما جعل الدولة الفاطمية تسارع لبناء جسور الاقتصاد والتبادل التجاري في ميادين الزراعة والصناعة والتجارة البحرية مع ساكنيه، فكانت طرقه منفذا للقوافل التجارية المصرية نحو بلاد المغرب والسودان.

مشكلة الدراسة: يغوص البحث في تبيان العوامل المؤثرة في ازدهار النشاط الاقتصادي ومدي توفر المناخ المعتدل وطبيعة الموارد المائية في الإقليم وانعكاسها على جودة المنتجات الزراعية، كذلك الحدود الجغرافية لإقليم برقه ومدي توفر التضاريس المساعدة على تطور النظام الاقتصادي، ومميزات التجارة ومبادي التصدير والاستيراد مع الأقاليم المجاورة ودورها في توسيع النشاط التجاري، ومن ثم تحديد طرق المعاملات المالية في تلك الفترة وعمليات البيع والشراء وطرق المقايضة ودورها في رواج التجارة الداخلية والخارجية.

أهمية الدراسة: شكل إقليم برقه الجسر الذي عبرت عليه الخلافة الفاطمية نحو بلاد مصر. فقد تصدى أهل برقه لكل المحاولات الرامية إلى فرض السيطرة الكاملة على الإقليم؛ فشكلوا سدا أمام المد الشيعي في أقاليم ليبيا الثلاث. في حين لم يستتب الأمر للحكم الفاطمي في برقه التي كانت أرض خصبة للخارجين عن الحكم الفاطمي في بلاد مصر والفارين من تنفيذ الأحكام وزعماء الثورات لما يشكله الإقليم من بيئة حاضنه لهم.

أهداف الدراسة: يأتي ذلك من خلال توضيح الملامح العامة للحكم الفاطمي لإقليم برقه والأسس السياسية والدينية التي اعتمدها الفاطميين في حكمهم للإقليم ومدى نجاحهم في تنفيذ ذلك. ومن ثم التطرق لوفرة الموارد الطبيعة وانعكاسها على ازدهار النشاط الاقتصادي ودور المدن والواحات البرقاوية في تنظيم حركة الأسواق وتنويع طرق البيع والشراء، كذلك التعرف على كيفية رواج التجارة البحرية في الإقليم ودور الموانئ البرقاوية في لعب دور الوسيط التجاري بين مدن برقه والإسكندرية من جهة وبرقه وبلاد المغرب من جهة أخرى.

منهج الدراسة: يسير الباحث على خطى المنهج السردي التاريخي في توضيح مجريات وأحداث الغزو الفاطمي لبلاد مصر عبر إقليم برقه حتى دخولهم لمدينة القاهرة، وطبيعة تعيين الحكام لإقليم برقه وطرق إدارته تحت سيطرتهم، ومن ثم سرد الثورات المناهضة للحكم الفاطمي ومدى نجاحها في تحقيق أهدافها. ثم يستعن الباحث

بالمنهج الوصفي التحليلي في وصف أثر الاعتدال المناخي والتنوع التضاريسي والتربة الخصبة على جودة المحاصيل الزراعية وسهولة تصديرها للمناطق المجاورة، كذلك وصف شبكة الطرق التجارية المتفرعة في الإقليم ودورها في ربط الإقليم بمناطق بلاد مصر والسودان ورواج التجارة مع أقاليم ليبيا في طرابلس وفزان.

خطة الدراسة: يشتمل البحث على مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع، حيث يتناول المبحث الأول الوضع السياسي لإقليم برقه تحت الحكم الفاطمي وأشهر الثورات الرافضة لسيطرته، فيما يستعرض المبحث الثاني حدود وجغرافية إقليم برقه وأثرها على ازدهار النشاط الاقتصادي، في حين يشرح المبحث الثالث طبيعة النشاط الاقتصادي وفروعه من الزراعة وأهم المنتجات الزراعية ومن ثم الصناعة ومميزات التجارة وطرق القوافل المارة بالإقليم وأثرها على تطور الحركة التجارية مع الأقاليم المجاورة وينتهي البحث بخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع.

لقد ساهمت مجموعة من العوامل على تنوع السلالات الغذائية في إقليم برقه وتوفر مصادر المياه من الأمطار والعيون والآبار الطبيعة لتساهم في زيادة الموارد الاقتصادية للمدن والواحات البرقوية، فيما تنوعت الصناعات التقليدية وتغليف التمور وتجفيف الفواكه فضلا عن تفرد الإقليم بالسلالات النادرة من الجمال والأحصنة والغنم والماعز كثروة سيادية وحيوانية تصدر للدول المجاورة. من ناحية أخرى شكل الإقليم سدا منيعا أمام المحاولات الشيعية لزرع شرايين المذهب الشيعي في ظل تمكن المذهب المالكي من قلوب ساكنيه، حيث ولّى الفاطميين على الإقليم كل من يدين لهم بالولاء لضمان للسيطرة على خط الدفاع الغربي عن حدود دولتهم الفتية.

أولاً: الوضع السياسي لإقليم برقه تحت الحكم الفاطمي

عرف إقليم برقه منذ القدم حيث يعود للعصر الروماني باسم أنطابلس أو بنطابلس أي المدن الإغريقية الخمسة، حتى فُتح الإقليم على يد القائد المسلم عمر بن العاص في عهد الخليفة عمر بن الخطاب فأطلقوا عليه أسم برقه وأصبح يجمع المنطقة الجغرافية الممتدة من حدود مصر الغربية إلى حدود مدينة سرت من الغرب ومدينة ودان من جهة الجنوب الشرقي (البلاذري، 1988م، 220)

ظل إقليم برقه تحت السيادة البيزنطية في وضع يسوده الطغيان والتمزق السياسي وفرض الضرائب حتي وصول حملة عمر بن العاص من مصر سنة 22هـ/643م فتصالح مع أهلها على فرض الطاعة ودفع الجزية بمقدار ثلاثة عشر ألف دينار. ثم أنقسم الجيش الفاتح إلى قسمين: الأول نحو إقليم فزان بقيادة عقبه بن نافع الفهري وفتحه صلحًا حتى منطقة زويلة (البلاذري، 1988م،23)

أما القسم الثاني من الجيش فسار من برقة بقيادة عمر بن العاص نحو مدينة اجدبيه فدخلها صلحًا، ومنها أنطلق إلى طرابلس فحاصرها، لشهرين حتى تمكن من دخولها بعد استغلال مواطن ضعفها من جهة البحر. وبذلك دخلت أقاليم برقه وفزان وطرابلس تحت الحكم الإسلامي، وانتهت حقبة الحكم البيزنطي، لتبدأ مرحلة جديدة من الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا بشكل عام وإقليم برقه بشكل خاص (عباس، 1967م،33،35)

ونتطرق بعد ذلك لوصول الحكم الفاطمي لبلاد المغرب؛ إذ ساهمت الدعوة السياسية والدينية للدعاة الفاطميين في الترويج لخلافة عبيد الله المهدي (297–322هـ/910–934م) بقيادة عبيد الله الداعي، حيث تمكن المهدي من الهجرة إلى بلاد المغرب بعد تمهيد الدعوة له فسكن مدينة سجلماسة [1] مدة أربعين يوما، ثم سار نجو رقادة فدخلها سنة 279هـ/910م (ابن الأثير، 1357هـ،597/6) و دعي له على المنابر وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين وأبطل الدعوة للخليفة العباسي في إفريقية، معلنا قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب (ابو الفداء،1980م، 142/15)

وبطبيعة الحال كانت منطقة شمال إفريقيا عند دخول الفاطميين إليها تظم المذهب المالكي السني ومذهب الأباضية والصفرية من الخوارج، إضافة للمذهب الإسماعيلي الجديد مما ساهم في زيادة التوتر في المنطقة، كما لا يخفى التنافس بين القبائل البربرية زناتة في الغرب، وصنهاجة وكتامة في الشرق مما جعل سياسة عبيد الله المهدي تعتمد على إثارة الفتن بين القبائل لإضعاف قوتها والسيطرة على ولائها (طقوس،2007م ، 84–85)

اتجهت السياسة الخارجية للدولة الفاطمية نحو التوسع في الأراضي وبث الفتن للاستيلاء على مناطق جديدة، فبعد تثبيت دعائم دولتهم في المغرب تطلعوا نحو إسقاط حكم الدولة العباسية في المشرق ومنها كانت خطة عبيد الله المهدي للتوسع في المشرق والبداية بدخول مصر والسيطرة عليها كبوابة نحو غزو بلاد المشرق وإخضاعه ومن ثم السيطرة على بلاد الشام والمشرق الإسلامي بالكامل (طقوس،2007م،86)

ومن هنا أصبحت الأقاليم الليبية هي مساراً الجيش الفاطمي وحدودًا غربيةً لبلاد مصر. ما جعلها مسرحا للأحداث وثغرةً مؤديةً إلى حلم الفاطميين في امتلاك أراضي الدولة العباسية. ولذلك وجه الجيش الفاطمي ثقله نحو إقليم برقه كجسرا للعبور نحو غزو بلاد مصر. ومن أهم الحملات الفاطمية على بلاد مصر وإقليم برقه مايلي:

– الحملة الأولى على مصر مرورا بإقليم برقه في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله "295–320هـ" حيث تقلد في عهده الوالي أبو منصور تكين حكم منطقة الفسطاط، ومنها سار تكين لقيادة جيشه للسيطرة على إقليم برقه، في المقابل سارع القائد حباسة بن يوسف الكتامي لصد الزحف العباسي والتوجه نحو برقه سنة 301هـ/913م فوصل سرت ودخلها بدون قتال وفر منها جنود العباسيين والأغالبة. ثم توجه نحو اجدابيه ودخلها بعد أن طلب أهلها الأمان ومنها دخل برقه في ظل التخاذل العباسي والاختلاف بين قادتهم فأطاح بهم حباسه وأجبرهم على الانسحاب نحو بلادهم (ابن عذاري،1983م ،385/1)

[1] مدينة سجلماسة: من أشهر المدن المغربية وثاني مدينة في جنوب المغرب الإسلامي بعد القيروان، تقع على سهل سبخي كثيرة المزارع والبساتين والدور، تأسست على يد ابي القاسم بن واسول سنة 140هـ/758م بعد قيام دولة بني واسول ساهمت في نمو الدولة واستقرار سكانها (البكري، 1992م،835/2)

بعد هزيمة العباسيين عاث حباسه في مدينة برقه "المرج الآن" فسادا، فقتل أهلها ونهب أموالهم وقذف بعضهم في النار متهما إياهم بالولاء للعباسيين، كما فرض عليهم جمع مائة ألف مثقال من المال وإلا قام بقتلهم فجمعوها خوفا منه (ابن عذاري، 1983م ، 71/1)

في ظل هذه الاعتداءات أرسل أهل برقه كتابا للخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي يشكون فيه أفعال حباسة وتجبره عليهم وقتله لهم ونهبه لأموالهم فرد عليهم بالاعتذار وإنه ما أمر بذلك وأرسل إلى حباسه بالرحيل عن المدينة (عباس، 1967م ،76)

بعد نجاح الحملة الاستكشافية بقيادة حباسه أرسل عبيد الله المهدي حملة كبيرة بقيادة أبي القاسم القائم حملة كبيرة انطلقت نحو طرابلس ثم سرت. أرسل القائم إلى حباسه يطلب منه التريث في المسير نحو مصر حتى يلتحق به، ولكن حباسه أراد أن يكون له شرف الحرب فتوجهه نحو الإسكندرية فيما لحق به القائم وتوغل حتى وصل الجيزة (الكندي،1908م، 280،282)

استمر زحف حباسه والقائم نحو فتح الحصون المصرية، حتى بعث تكين والي مصر للخليفة العباسي يطلب منه المدد لمواجهة الزحف الفاطمي فأرسل له القائد مؤنس الخادم في جيش قوامه أربعون ألف مقاتل فالتقى الجيشان وهزم حباسه، وانسحب القائم إلى الفسطاط وعاد نحو المغرب، فيما اضطر حباسه للتراجع أمام القوة العباسية وقتل على يد الخليفة الفاطمي جراء هزيمته (ابن عذاري،1983م ،172/1)

بعد انسحاب القائم بن المهدي من مصر رجع إلى مدينة برقة، وأمرهم ببناء الأسوار حول المدينة وغادر إلى المغرب بعد أن ولىَّ عليهم رجالاً من قبيلة كنانة وحامية من الجند لحمايتها، ولعدم قبول أهل برقة بالمذهب الفاطمي ولتمسكهم بالمذهب المالكي ثار أهلها على الحامية وقتلوا قائدها، فأرسل لهم عبيد الله المهدي سنة 303هـ/915م جنده لتأديبهم بقيادة ابن فروخ اللهيفي فحاصر المدينة لمدة سنة وأربعة أشهر ثم دخلها وسفك دماء أهلها وأحرق ديارهم وظل حاكما للمدينة حتى توفي بها سنة 306هـ/ 918م (الذهبي،1984م،83/4)

ويتضح من ذلك أن إقليم برقة لم يخضع عسكريا للسيطرة الفاطمية إلا بعد حملة حباسه بن يوسف الكتامي، حيث لم تخضع الأقاليم الليبية للمذهب الشيعي. فكأن إقليم برقه وما حوله حتى سرت غربا وودان جنوبا على المذهب المالكي وما بعدها إلى طرابلس على المذهب الإباضي. حيث سعى الفاطميين لتحويل برقه نحو السيادة الفاطمية؛ كونها مقرا للحكم العباسي وقاعدةً عسكريةُ لجندهم مما جعل السيطرة الفاطمية على الإقليم وما حوله سيطرة عسكرية فقط في ظل رفض أهل برقة وطرابلس لتغيير معتقداتهم.

اعتمد حكم الفاطميين في إقليم برقه على اقتصاره في أيدى عمالهم من المؤيدين والأنصار المشهود لهم بالتبعية، وتميز حكمهم باستتباب الأمن والنظام في الأقاليم التابعة لهم، واستعمال الحزم والشدة عند اهمال العمال لواجباتهم والتقصير في خدمة شئون رعاياهم، فكانت أقاليم برقه وطرابلس وفزان ذات اهمية كبيرة لدى الفاطميين، حيث ساهموا في بناء أسوار طرابلس وتقوية الملاحة البحرية والعسكرية في المدينة، وتدريب سكانها على الإبحار

حتى أمتلك أهلها سفناً ضخمة للشحن، ساهمت في شحن البضائع وزيادة النشاط التجاري البحري(التيجاني، 1981م ،240)

في حين شكل إقليم برقة و ما حوله عمقاً استراتيجياً لدى الفاطميين باعتباره المنفذ الرئيسي نحو غزو بلاد مصر وبقائها تحت الحكم الفاطمي. فقد تقلد حكمه زمن الخليفة المعز لدين الله " 342–365 هـ/954–975م" أفلح الناشب حيث أمره بالاهتمام بأهلها وتدعيم أسوارها، ومن ناحية أخرى يتضح أهمية الإقليم عسكريا واستراتيجيا من خلال استعانة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله به في استرجاع جزيرة إقريطش[2] وحماية المسلمين الأندلسيين القاطنين بها بعد عجز الخلفاء العباسيين والأمراء الأخشديين من استرجاعها، حيث طلب من أخشيد مصر أن يرسل له سفنه إلى ميناء برقة لتنظم إلى مراكب الفاطميين لتنطلق بعدها نحو الجزيرة لقربها من مدينة برقه وتحريرها من غزو البيزنطيين سنة 350هـ/ 962م(حسن،1948م،296،298)

من هنا يتضح أهمية الموانئ البرقاوية في استراتيجية الدولة الفاطمية من الناحية الحربية والعسكرية لقربها من السواحل الأوروبية وجزيرة إقريطش اليونانية. كذلك البعد العسكري للدولة الفاطمية والاعتماد على الفرقة البرقية العسكرية التي عرفت بالقوة العسكرية وتوظيفها في حروبهم الخارجية ، كذلك اعتماد الدولة الفاطمية على الموانئ البرقاوية في حالات الحرب لموقعها الاستراتيجي العسكري، وفي حالات التجارة والتصدير نحو بلاد مصر والدول الأوروبية كمحطة تجارية بحرية تميزها عن غيرها من موانئ بلاد المغرب.

استغل المعز لدين الله العوامل الداخلية لبلاد مصر بعد وفاة كافور الإخشيدي"357هـ/968م" وسوء الظروف المعيشية في البلاد وانتشار المجاعة والكوارث الطبيعية وتذمر السكان. حينها أمر المعز لدين الله قائده جوهر الصقلي بالمسير نحو مصر سنة 358هـ/968م والاستراحة في برقه فيما أمر عاملها أفلح الناشب بالترحيب بالصقلي وتقديم فروض الطاعة والولاء له، فلما وصلها جوهر دخل برقه واستقبله أفلح مترجلا بكل ترحاب. ومنها أنطلق نحو الاسكندرية مصطحبا معه فرقة من الجند تسمى البرقية نسبه إلى أهل برقة عرفت بالقوة والفروسية وترك أفلح الناشب على خدمة أهلها (ابن أبي دينار،1268هـ ، 82)

تمكن جوهر الصقلي من الزحف على الحصون المصرية في الإسكندرية والفسطاط ودخل القاهرة دون مقاومة تذكر، فأصبحت بلاد مصر تحت السيادة الفاطمية وجهز جوهر الصقلي دار الملك في الجزء الشرقي من القاهرة وداعى المعز لدين الله خليفة الفاطميين للمجيئ والحكم منها(ابن خلكان،1978م ، 147/1)

بعد استقرار الأوضاع في بلاد مصر تحت الحكم الفاطمي وتلبية لدعوة جوهر الصقلي للحكم من دار الملك في القاهرة قرر الخليفة الفاطمي المسير نحو بلاد مصر، بعد أن ولّى بولكين بن زيري على بلاد المغرب، فيما تعود تبعية الأقاليم الليبية ما بعد طرابلس للحكم الفاطمي المباشر من القاهرة، بوصفها حدود مصر الغربية

[2] جزيرة اقريطش: هي جزيرة كريت اليونانية تقع على البحر المتوسط تتوسط قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا، فتحها المسلمون في عهد الخليفة العباسي المأمون سنة201هـ/827م (ابو الفداء،1980،55)

والموقع الاستراتيجي التي تتمتع به بما فيها إقليم برقه الحصن الغربي وبوابة مصر الغربية (ابن أبي دينار،1268هـ، 65)

انطلق المعز من بلاد المغرب سنة 362هـ/973م فمر على طرابلس ثم سرت حتى وصل اجدابيه واستراح بقصره الذي أسسه ابنه تميم فكان آية في الجمال من النقوش والتماثيل المنحوتة على أشكال مختلفة حيث لايزال بعضه قائما حتى الآن. وبعد أيام سار في جيشه نحو مدينة برقة وأقام في قصره فيها حيث توفى خلال إقامته بالمدينة كاتبه جوذر فحزن عليه كثيرا، كما توفى فيها شاعره ابن هاني الأندلسي فعبر عن فقدانه بقوله "هذا الراحل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق" (ابن خلكان، 1978م،75/4)

واصل المعز سيره من برقة حتى وصل الإسكندرية فاستقبله أهلها بالترحاب وخطب فيهم بأنه لم يرد المال أو الأرض إنما أراد أن ينهى حياته بالأعمال الصالحة والجهاد ضد الكفار، وتأمين طريق الحجاج وخرج من الإسكندرية نحو القاهرة فدخلها في السابع من رمضان سنة 362هـ/973م، فكان في استقباله جوهر الصقلي وسار به نحو قصر الملك. ثم استقبل في اليوم الثاني أعيان البلاد وشيوخها وأطلق أسم القاهرة على المدينة بدلا عن المنصورية ؛ لقهرها للعباسيين ولتكون دارا للحكم الفاطمي في بلاد المشرق (المقريزي، 1996م، 130/1)

في سياق متصل بعد عصر المعز لدين الله ظل إقليم برقه تحت السيادة الفاطمية إلا أنه لم يخضع لها بالكامل مع ظهور حركات تمرد على ولاتها التابعين للفاطميين في القاهرة ومن أشهر تلك الثورات نستعرض مايلي

حركة أبي ركوه في برقه ضد الحكم الفاطمي سنة (395ه – 397ه/ 1005– 1007م):

شغل أبي ركوه وظيفة معلم الصبيان في دار قبيلة بني قرة وعرف بحسن خلقه وفصاحة لسانه، ويرجع نسبه للأمويين حيث استغل كره بنى قرة للفاطميين وسخطهم على سب الصحابة والسلف فبادر بقيادة معارضة ضد الحكم الفاطمي. وتمكن من لم شمل قبائل بني قرة وبنى زناته حوله، فسار لحصار مدينة برقه سنة 395هـ/1004م ولقوة تحصينها ومتانة دفاعاتها لم يتمكن من دخولها(الأنطاكي،1990م، 188)

عاد أبي ركوه إلى حصار برقه مرة أخرى وشدد عليها لمدة خمسة أشهر، فأرسل إليهم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله نجده لفك الحصار بقيادة إينال التركي، وهنا فك أبي ركوه الحصار مؤقتا وذهب لملاقه إينال وأوعز لجنده بمناوشته في الطريق وردم آبار المياه في طريقه؛ ليصل منهكا من طول الطريق والعطش. فأشتبك معه أبي ركوه حين وصوله عند موقع عيون النظر وهزم إينال التركي وتم أسره بعد هروب أغلب جنوده. وعندما علم والي برقه صندل الأسود بخبر هزيمة اينال فر من المدينة نحو مصر عن طريق البحر فدخلها أبي ركوه وتلقب بأمير المؤمنين الناصر لدين الله الثائر وسك العملة لنفسه (ابن الأثير،1999م ،199/9)

بدأ أبي ركوه في التوسع خارج نطاق إقليم برقه واتجه بأطماعه نحو مصر بتشجيع من أعوانه بامتلاك الأراضي والضياع المصرية، فاندفع بجيشه نحو مصر ودخل حصونها واصطدم بالجيش الفاطمي المعزز بطلب

من سلطان الفاطميين بجيوش بلاد الشام، لمساندته بقيادة المفرح بن دغفل الطائي وتمكنوا من هزيمته سنة 396هـ/1005م وغنم الكثير من أموالهم وأسلحتهم (المقريزي، 1996م، 63/2)

وفي سياق متصل ورط أبي ركوه جيشه في حرب حامية الوطيس بعد أن كشف الفاطميين خططه وطرق قتاله من قادة جيشه الخائنين له والجواسيس التابعين لهم لينتهي أمره بالهزيمة أمام الفاطميين والفرار نحو بلاد النوبة ثم سلم نفسه وقتل على أيديهم (ابن خلدون، 1969م،37/6)

كان تسرع واندفاع أبي ركوه نحو مصر بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير، حيث خرج بجنوده عن المناطق الخاضعة له وابتعد بذلك عن موارده وحاضنته الأساسية في إقليم برقه، كذلك تبعثرت جيوشه في أراضي البلاد المصرية المترامية الأطراف بعيدا عن خطوط الامداد والدعم في دار حكمه متشبثا بخيوط من السراب عن الإطاحة بالحكم الفاطمي في مصر مما جعله فريسه سهله لجيوش الفاطميين.

استمر إقليم برقه في عداوة وعدم تبعية للحكم الفاطمي حيث ظل كره بني قرة للفاطميين مستمرا من خلال استيلائهم على الهدايا المقدمة للحكام الفاطميين من ولاه المغرب عند مرورها بهم، من ناحية أخرى شكل إقليم برقه الملاذ الآمن للفارين من ظلم وتعسف الفاطميين والهاربين من الأحكام السلطانية في مصر (ابن تغري بردي،1970م، 81/3)

ظلت الأمور على حالها حتى بدأت هجرة قبائل بني سليم وبني هلال نحو إقليم برقه، فقد شكل تدهور الوضع الاقتصادي في قلة الموارد والجفاف والفوضى دورا في تلك الهجرة نحو برقه، من ناحية أخري ساهمت كثرة المشاكل و الاضطرابات التي أثارتها قبائل بني هلال وبني سليم في تسريع هجرتهم، فقد تكفلت الدولة الفاطمية بدعم هجرتهم ومنحهم الوزير اليازوري ما يحتاجونه من أموال وخصص بعيرا لكل فرد وحفزهم على الهجرة بقوله أن الخليفة الفاطمي منحكم حكم المغرب وملك المعز بن باديس الصنهاجي(ابن الأثير،1999م،299/8)

هاجرت قبائل بني سليم وبني هلال بلاد مصر واستقرت في إقليم برقه حيث أرسلت في طلب أهلهم بالمجيء لبرقه بقولهم " أنهم وجدو بلاد غاية في الخصب لا مزاحم لهم فيها " مما يدل على وفرة الأراضي الزراعية وخصوبة المراعي والسهول الجارية والمناخ المعتدل (ابن تغري ،1970م، 80/5)

كما هيمنت قبائل بني سليم على جميع القبائل القاطنة من البربر واليهود وغيرهم فلم يكونوا دولة أو كيان سياسي في الإقليم، بل كانت قبائل رعوية تعتمد على الرعي والزراعة، ولم يكن ولائها للفاطميين فكانت أرضها ملاذا للفارين من ظلم الحكم الفاطمي (المقريزي، 1996م، 216/2)

لم يكن للفاطميين سلطة مطلقة في إقليم برقه بالرغم من خضوع الإقليم سياسيا لهم، ودعمهم لنزوح قبائل بني سليم وبني هلال إلا أن التبعية كانت أسمية فقط. وكان رحليهم للبحث عن حياة اقتصادية أفضل في ظل مجاعات بلاد مصر وليس لحكم إقليم برقه وترسيخ حكم الفاطميين فيه، حيث ظلت أراضي إقليم برقه مناهضة

لحكم الفاطميين ومواطن للفارين من ظلمهم، في حين لم يفلح الفاطميون في زرع المذهب الإسماعيلي في الإقليم لتجذر المذهب المالكي في نفوس قاطنيه.

ثانياً: حدود وجغرافية إقليم برقه ودورها في ازدهار النشاط الاقتصادي:

دخلت حدود إقليم برقة في ترابط مع حدود بلاد مصر حيث وصف القلقشندي حدود إقليم برقه بأنها منقسمة إلى جزئين الأول يمتد إلى ديار مصر والثاني يشمل جزء من إفريقية من العقبة الصغرى المعروفة " مرسى مطروح " إلى حدود إقليم برقه الغربية (القلقشندي، 1922م، 396/3)، فيما يحدد الجغرافي الوزان حدود إقليم برقه من الإسكندرية شرقا حتى مدينة مصراته غربا، حيث لا يوجد فواصل طبيعية بين إقليم برقة وبلاد مصر وإقليم طرابلس(الوزان،1983م،25/2)، فيما يرى البعض إن حدود إقليم برقه يمتد حتى مدينة تاورغاء جنوب طرابلس (الزاوي، 1968م،146).

وفي سياق متصل عرفت حدود برقه بأنها مساحة جغرافية كبيرة تشمل مدن وقرى بين الإسكندرية وأفريقية، حيث تمتعت مدينة برقه "المرج حاليا" عاصمة الإقليم بموقع جغرافي زراعي خصيب يتوسطها سهلا زرعيا تحيط به المرتفعات الجبلية من كل الجهات (عبده،2001، 33)

كما يصف المؤرخ الاصطخرى عاصمة الإقليم بقوله إنها مدينة في وسط الإقليم في سهل خصيب تحيط بها الجبال والمرتفعات ويقطنها قبائل البربر يحيطون بها من كل مكان (الاصطخري، 2004م،38) في حين يصف اليعقوبي عاصمة الإقليم مدينة برقة بخصوبة تربتها فيقول بأنها " تتوسط الإقليم وتربة أرضها شديدة الحمرة ويشرب أهلها من ماء الأمطار الذي يصل إليها من الجبال المحيطة عن طريق الأودية وتحيط بالمدينة قرى ومدن صغيرة يسكنها القبائل والجند (اليعقوبي،1422هـ،181)

كما وصف اليعقوبي حدود مدينة برنيق "بنغازي حاليا" بأنها تقع على ساحل البحر وتتمتع بميناء عظيم في البناء والجودة تقف فيه المراكب ويسكنها قوم من أبناء الروم (اليعقوبي،1422هـ، 182) في حين وصف المؤرخ البكري حدود مدينة اجدابيه بأنها مدينة كبيرة في الصحراء أرضها صفاء كثيرة الآبار، عذبة المياه، تكثر فيها المساجد والبساتين والنخيل وأسقف منازلها من الطوب، أسواقها عامرة بأفضل التمور تجلب إليها من واحات أوجله وودان(البكري،1992م،2/ 650) وهي مواطن قبائل لواته ولها ساحل على البحر ومرسى للمراكب ومعظم أهلها من البربر وهي آخر المدن التي تعيش فيها قبيلة لواته (اليعقوبي،1422هـ،183)

حدد المؤرخ اليعقوبي موقع مدينة سرت بأنها آخر حدود إقليم برقه وأهلها من منداسة وقنطاس وتمتد حتى موقع يعرف بتورغا وهو آخر حدود إقليم برقه (اليعقوبي،1422هـ،184) ولها سور منيع ومنازلهم من الطين تكثر بها البساتين والأراضي الزراعية وأشجار النخيل وأسعار بضائعهم مناسبة لكل زمان (ابن حوقل، 1938م، 68/1)

تعتبر واحات إقليم برقه الجنوبية ومنها مدينة أوجله وما بها من النخيل وأنواع التمور النادرة من أهم الموارد الاقتصادية لإقليم برقه وسببا في ازدهار اقتصاده. كذلك واحة ودان فهي من أعمال برقه المضافة يقطنها

عرب من اليمن مسلمون من قبيلة مزاتة ويحكم المدينة رجلا من أهلها ولا يدفعون الخراج (ابن حوقل، 1983م، 69/1)

تميز إقليم برقه بالتنوع التضاريسي حيث تمتد المظاهر الساحلية من غرب مصر حتى سواحل سرت، فيما تظهر التضاريس الجبلية في مناطق الجبل الأخضر والغطاء النباتي المحيط بمدينة برقه عاصمة الإقليم، كما يمتد الغطاء الصحراوي في الإقليم من خلال واحات وصحاري الإقليم وحوض وواحات أوجلة وودان، فيما تميزت الطبيعة الصحراوية بالأشجار المثمرة من النخيل والمراعي الصحراوية (ابن سعيد، 1970،71)

فيما يشكل البحر عامل تضاريسي هام في جغرافية ومناخ إقليم برقه، حيث يربط بين المدن الساحلية والموانئ الموجودة بها، كما يعمل على خفض درجات الحرارة وتوجيه الرياح لحدوث الأمطار مما يعزز جودة الغطاء النباتي في الإقليم (الوزان، 1983م، 227/2)

كذلك شكلت جبال إقليم برقه عاملا جغرافيا واقتصاديا هاما، فقد تدفقت كسلاسل جبلية محاذية للساحل البرقاوي الذي يربط القرى المحيطة بالسلاسل الجبلية ويمدها بالتنوع النباتي والنشاط الزراعي وتجرى بينهما الأودية كعوامل أساسية لمصادر المياه فحولها تقام المجتمعات وتنشط الزراعة (الهرام ،1997م،105)

ثالثا: النظام الاقتصادي في إقليم برقه

تكفل الموقع الجغرافي لإقليم برقه والتضاريس المحيطة به في لعب دور جوهري في ازدهار النشاط الاقتصادي، حيث اجتمع الساحل والجبل مع الصحراء لتجعل الإقليم يعج بعوامل الاقتصاد النشط من خلال المناخ المعتدل، وتوفر مياه الامطار وجريان السيول وتدفق الأودية ووفرة الغطاء النباتي؛ ما نتج عنها من نشاط زراعي وظهور للصناعات الخفيفة وتطور الأسواق الداخلية والتبادل التجاري مع الأقاليم المحيطة، ومن أهم الأنشطة الاقتصادية التي مارسها سكان الإقليم مايلي:

1- الزراعة:

ساهمت الإمكانات الطبيعية لإقليم برقه في جودة الزراعة وتنوع المحاصيل الزراعية، حيث وصف الرحالة والجغرافيين أرض برقه وخصوبة تربتها بأنها أرض خلوقية وخصبة (الحموي، 1957،289/) فيما عبر البكري عن ذلك بقوله تربتها حمراء دائمة الرخاء كثيرة الخير تصلح بها السائمة(البكري،1992، 650/2)، فكانت مدينة برقه تتمتع بتربة خصبة حمراء شديدة الحمرة(القلقشندي،1922م،396/3) فيما يصف الرحالة أرض وتربة مدينة اجدابيه بأنها أرض ذات صفاء بالغة الخصوبة كثيرة البساتين والثمار(البكري، 1992م،654/2) كما وصف المؤرخون صحراء برقه بأنها أرض رملية فسيحة تحيط بها القرى تميزها الزروع والتربة الخصبة (القلقشندي، 1922م،100/5)

إلي جانب خصوبة التربة يعتبر توفر مصادر المياه عاملا أساسيا في جودة الزراعة وتدفق المنتجات الزراعية وازدهار النشاط الزراعي، فقد اعتمدت الزراعة في إقليم برقه على عده مصار للمياه منها مايلي:

أ- مياه الأمطار:

لعب المناخ في إقليم برقه عاملا هاما في تدفق الأمطار، فقد شكل الموقع الجغرافي وتضاريس الإقليم سببا في نجاح ذلك منذ الفتح وحتى العصر الفاطمي، حيث وصف الرحالة والجغرافيين مصادر المياه في الإقليم نذكر منهم اليعقوبي بقوله" شرب أهل برقه من مياه الأمطار يأتي إليهم من الجبل في أودية" (اليعقوبي، 1422هـ،185) كما ذكر ياقوت الحموي توفر الأودية الجارية ودورها في ري المحاصيل الزراعية بقوله "أهل برقه يشربون من ماء السماء يجرى في أودية" (الحموي، 1957م،290/1)فيما وصف المقدسي توفر مياه الأمطار في مدينة اجدابيه بذكره " مدينة اجدابيه عامرة بنائهم على البحر يشربون من ماء السماء(المقدسي،1957، 123)

ب- الآبار والعيون:

تعتبر من أهم مصادر المياه عند أهل برقه انتشرت في جميع المناطق الساحلية والصحراوية واستعملت للشرب وري المحاصيل الزراعية، فقد احتوى الإقليم على العديد من الوديان الجارية الناتجة عن تدفق مياه الأمطار من أشهرها وادي درنه حيث وصفه الرحالة أبن سعيد بقوله: وادي عظيم ينزل من الجبال ويصب في البحر ولم أرى في برقه نهر أعظم منه (ابن سعيد، 1970م، 146)

معظم الآبار التي حفرت في إقليم برقه تعود للعصر الفاطمي، فهي من خطة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في غزوه لبلاد مصر، حيث أمر عماله بحفر الآبار على طول الطريق الواصل بين بلاد المغرب وبلاد مصر وخاصة في إقليم برقه لأنها قاعدة للجند ومكان للاستراحة قبل التوجه لغزو بلاد مصر (ابن الأثير، 1357هـ،304/7)

كما عرفت مدينة اجدابيه بكثرة العيون والآبار حيث وصفها البكري بقوله أنها "مدينة كبيرة أرضها صفاء وآبارها منقورة في الصفاء طيبة الماء وبها عين ماء عذب تسقى منه البساتين والنخيل" (البكري،1992م،652/2)، كذلك تميزت مدينة سرت بكثرة الآبار والعيون العذبة العميقة التي استخدمت في سقاية الناس والحيوانات وزراعة المحاصيل الزراعية وخاصة الذرة، كما تمتعت واحات إقليم برقه بتوفر مياه الآبار والعيون العذبة في واحات زويلة وودان وأوجله وانعكاسها على نشاط زراعة المحاصيل الزراعية من القمح والذرة (البكري، 1992م ،652/2)

- أشهر المنتجات الزراعية في إقليم برقه:

1- القمح: يعتبر من أهم المنتجات الرئيسية في الإقليم والغذاء الأول لهم حيث يزرع في كل مناطق الإقليم خاصة في المرج واجدابيه وواحات برقة الجنوبية مثل أوجله وزويلة وودان.

2- الشعير: من أشهر محاصيل الإقليم الاستراتيجية ويعد من أطعمة الناس وغذاء للحيوانات، يزرع في مناطق متعددة في سهول برقه وماحولها ومدينة اجدابيه

3 – الذرة: تعد من المحاصيل ذات الأهمية في مناطق الإقليم حيث زرعت في الواحات الجنوبية في أوجلة وودان وزعت بكثرة في اجدابيه وسرت ودرنه إلى جانب محصول الدخن والبرسيم (بولبيض، 2009،132)

4- النخيل: عرفت زراعة النخيل في إقليم برقه في مناطق اجدابيه وسرت وحول مناطق وواحات أوجله وودان والكفرة، حيث وصف الرحالة والجغرافيين جودة النخيل وكثرة تصديره للمناطق المجاورة كبلاد مصر والمغرب (الحموي، 1977م،277/1)

5 – الزيتون: انتشرت زراعة الزيتون في مناطق واسعة من إقليم برقه خاصة في مدينة برقه وبرنيق وواحات الجنوب في أوجله وودان (العمري،1423هـ،504/3)

6- الفواكه: أشتهر إقليم برقه بتنوع الفواكه في مناطق مختلفة، فقد وصف البكري ما تحتوي عليه مدينة برقه من الفواكه مثل الجوز والأترج والسفرجل واللوز والموز والتين والكمثرى والرومان وغيرها (البكري، 1992م،15)

فقد نتج عن تمتع إقليم برقه بغطاء نباتي فسيح، وتضاريس جبلية وصحاري شاسعة ومصادر مياه متنوعة توفر الثروة الحيوانية في الإقليم وانعكاسها على ازدهار النشاط الاقتصادي كمصدر هام للحوم من جهة وثروة سيادية لسكان الإقليم من جهة أخرى.

ونظرا لخصوبة التربة واعتدال المناخ وكثرة الزروع انتجت المراعي البرقاوية أفضل السلالات من الأغنام فكثرت أعدادها في مناطق مدينة برقه وما حولها، كما انتشرت الماعز في المناطق الصحراوية في مناطق اجدابيه وأوجله وسرت(زيادة،1966م،11)

فيما ترعرعت الإبل في إقليم برقه وعرفت بالسلالات النادرة ووفرة البانها، فقد اعتمد عليها السكان في حرث الأراضي وري المحاصيل الزراعية والتنقل بين المدن، حيث وصف المؤرخون أهل برقه بأنهم أهل ماشية ودواب كثيرة من الأغنام والماعز والإبل (العمري،1432هـ، 545/3)

كذلك تميزت خيول برقه بقوتها وجمال أجسادها وتنوع سلالاتها، حيث تزاحم خلفاء الدولة الفاطمية على استيرادها وتوزيعها على فرسانهم كرمز للقوة والصلابة، فيما أهتم سكان الإقليم بتربية حيوانات أخرى كالنعام في ودان وتربية الصقور والحجل في ساحل مدينة برقه وتربية الغزال في واحات برقه الجنوبية إلى جانب تربية النحل في غابات إقليم برقه ووديانها (بالناصر،2024م،33)

2- الصناعة:

عرف إقليم برقه العديد من الصناعات التقليدية والصناعات القائمة على الموارد الطبيعية والموارد النباتية، كذلك الصناعات القائمة على الموارد الحيوانية في ظل الطلب المتزايد على المنتجات النباتية والحيوانية من بلاد مصر والأقاليم المجاورة.

من أهم الصناعات التقليدية في إقليم برقه صناعة الفخار والأواني المنزلية معتمدين على أشجار النخيل والطين وصناعة أطباق حفظ الطعام والأدوات المستخدمة في الطب الشعبي، بالإضافة لصناعة زيت الزيتون حيث اعتمد الأهالي على استعمال المعاصر الرومانية القديمة المنتشرة في منطقة طلميثة على ساحل مدينة برقه في عصر الزيتون فكان يصدر منها للمناطق المجاورة في مصر وبلاد الشام (البرغوثي، 1973م،280)

كذلك انتشرت صناعة العسل في إقليم برقه في مرتفعات الجبل الأخضر، حيث يصدر أصناف منها إلى بلاد مصر، كذلك صناعة دبغ الجلود وصناعة الصوف، كما عرف الإقليم صناعة القطران حيث يجلب من اجدابيه وسرت وتمر عليه قوافل الحجيج ويحملونه معهم (البكري، 1992م،650/2)

ونتيجة لوفرة المنتجات الزراعية عرف سكان الإقليم تجفيف المنتجات الزراعية كمورد اقتصادي هام، حيث تركزت في واحات الجنوب في أوجلة وودان، كما اشتهرت مدينة اجدابيه بتجفيف الفواكه كالتين والكمثرى (ابن حوقل، 1938م ،73،70) كذلك ظهرت الصناعات القائمة على أشجار النخيل وصناعة الجريد وتغليف التمور وتصديرها إلى المناطق المجاورة (الزاوي، 1986م،198)

3- التجارة:

تميز الموقع الجغرافي لإقليم برقه بتدعيم ورواج حركة التجارة، حيث توسط طرق التجارة بين بلاد مصر والشام والحجاز من جهة وبين بلدان المغرب العربي والأندلس من جهة أخرى، كما ساعدت موانى إقليم برقه على لعب دور الوسيط البحري للتجارة مع الدول المجاورة والدول الأوروبية في صقلية والبندقية ومن أشهر الطرق التجارية بالإقليم البرقاوي مايلي:

- الطريق الساحلي الواصل بين مصر وبرقه وطرابلس ثم بلاد إفريقية: وصف البكري الطريق بأنه أفضل الطرق التجارية مرور بإقليم برقه والأكثر أمانا للمسافرين والتجار من خلال توفر عوامل الراحة والأسواق والموانئ البحرية التجارية في إقليم برقه؛ مما ساعد في توفر السلع التجارية وعمليات البيع والشراء وقرب المسافات وتوفر الأمن ورخص الأسعار(البكري،1992م،653/2)
- طريق برقه زويلة كانم: يعتبر من الطرق التجارية الهامة بين إقليم برقه وبلاد المغرب والسودان، كما يربط مناطق إقليم برقه بالمدن التجارية في السودان، حيث ساهم الطريق في ازدهار الحركة التجارية بين بلاد مصر عبر برقه إلى السودان، حيث وصف الإدريسي الطريق بقوله: من برقه إلى مدينة اجدابيه ست مراحل وهي من الأميال مائة واثنان وخمسون ميلا ثم إلى مدينة أوجله ليصل إلى مدينة زويلة ويلتقي بالطريق القادم من طرابلس ومنها إلى بلاد السودان (الإدريسي، 1996م،290/1)

وفي سياق متصل توفرت الموانئ البحرية والمراسى في إقليم برقه لتكون عاملا في ازدهار التجارة البحرية مع الدول المجاورة، حيث انتشرت على طول سواحل إقليم برقه موانى تجارية تنقل البضائع كخط ملاحي تجاري بين بلاد مصر والمغرب العربي، فقد وصف الإدريسي مرسى طبرقه كونه أول المراسي للسفن المتحركة من الإسكندرية نحو برقه ويتمز بالهدوء وقلة الرياح حيث تلجئ إليه السفن عند هيجان البحر والعواصف الشديدة (الإدريسي،1996م،315/1)

ومن المراسى الهامة في إقليم برقه مرسى طلميثة فقد لعب دورا محوريا في حركة التبادل التجاري بين بلاد مصر وأهل برقه فكان مكتضا بالمراكب التجارية التي تحمل شتى أنواع البضائع التجارية (الإدريسي، 1996م،308/1)

بالإضافة إلى مرسى اجدابيه باعتباره بوابة وحات برقه والطريق البحري نحو التجارة مع بلاد السودان حيث يقصده التجار من كل مكان، وأطلق عليه البكري أسم الماجور (البكري، 1992م،650/2) ونستعرض أيضا مرسى ابن غازي أو مرسى ملال وهو من المراسى المعروفة بالنشاط التجاري وكثرة المراكب المحملة بالبضائع من وإلى بلاد مصر، كما ورد ذكر بعض المراسى الأخرى عند المؤرخين والرحالة منها مرسى رأس التين ومرسى القوارة ومرسى كرسته (العمري،1423هـ،135/3،137)

ويجرنا الحديث هنا للتعريج عن الأسواق المنتشرة في إقليم برقه ودورها في تطور الحركة التجارية وضبط الأسعار وطرق البيع والشراء، حيث انتشرت الأسواق في جميع أرجاء الإقليم، خاصة المناطق الحدودية والقريبة من الموانئ البحرية، فقد وصف البكري إقليم برقه بالأسواق العامرة والبضائع الرخيصة، إذ يصدر من أسواقها العسل والصوف إلى بلاد مصر، كذلك أسواق سرت التي تعج بالبضائع من التمور والفواكه والزيت وتجارهم يتبايعون على سعر موحد يختارونه فيما بينهم (البكري، 1992م،652/2)

كما تميزت مدينة اجدابيه بالتجارة الصادرة والواردة وكثرة الأسواق، وتوافد التجار عليها باعتبارها مركز للتجارة ومدخل تجاري للطرق التجارية من طبرق نحو واحات برقه وبلاد السودان، فقد وصف المؤرخون أهلها بإتقان التجارة وتميزت أسواقها برخص الأسعار وتوفر البضائع فهي مركز لتوزيع البضائع القادمة من مصر نحو بلاد السودان (ابن حوقل، 1968م،70)

ساهمت واحات إقليم برقه الجنوبية مثل أوجله وودان في تكوين محطات تجارية على الطريق الصحراوي نحو بلاد السودان، فكانت تتوسط الطريق التجاري من برقه نحو إقليم طرابلس وبلاد المغرب من ناحية ومدخل للطريق نحو إقليم فزان من ناحية أخرى، حيث تنوعت أسواقها بالمنتجات من التمور والجلود والإبل ذات السلالات النادرة والحيوانات الصحراوية من الغزلان والنعام (الإدريسي، 1996م،315/1)

اعتمد إقليم برقه نشاط تصدير السلع التجارية من خلال الأسواق عبر الموانئ والطرق التجارية لرواج الحركة الاقتصادية الخارجية، وخاصة تصدير اللحوم نحو بلاد مصر بكميات كبيرة، فكانت أكثر ذبائح بلاد مصر تستورد من إقليم برقه وذلك لجودة لحومها وطيب مذاقها (الحميري، 1975م،90)

من ناحية أخرى صدر إقليم برقه أجود سلالات الخيول العربية الأصيلة إلى بلاد مصر، حيث كانت توزع الخيول العربية على جنود الفاطميين بعد نزولهم في مدينة برقه للاستراحة من سفرهم من بلاد المغرب، كما صدرت الخيول البرقية عن طريق المراكب المحملة بالخيول والجمال والاخشاب نحو الإسكندرية (القلقشندي، 1922م،115/6)

وصف البكري الحالة التجارية لمدينة زويلة والسلع المتوفرة بها للتصدير والتبادل التجاري منها تجارة الرقيق مع إقليم طرابلس وبلاد السودان، كذلك تميزت منتجاتهم بأجود أنواع التمور والطيور التي صدرت نحو إقليم فزان وطرابلس(الحموي،1977م،158،275)

فيما لعبت المراسى البحرية دورا هاما في التبادل التجاري فكان ميناء طلميثة نقطة تحول في التجارة الداخلية في تصدير الحبوب من القمح والشعير والعسل والملح نحو إقليم طرابلس من جهة ويصدر القمح والشعير والعسل والكبريت والخيل والجمال والفواكه نحو ميناء الإسكندرية من ناحية أخرى، مما جعل إقليم برقه قاعدة تجارية واقتصادية في تبادل السلع والمنتجات بين الدول والأقاليم المجاورة(مفتاح،1978م،218)

4- النظام المالي:

كانت طرق البيع والشراء في إقليم برقه عاملا مؤثرا في ازدهار النشاط الاقتصادي، حيث يكفل النظام المالي إتمام عمليات بيع وتبادل السلع والخدمات والدفع بالدينار والدرهم والمكاييل والموازين، ومن أهم طرق البيع والشراء المتبعة ما يلي:

- نظام البيع بالتبادل أو المقايضة: من أنظمة البيع والشراء التي عرفت في عصر الفاطميين، حيث وصفها المؤرخون والرحالة عند مرورهم بالأسواق في إقليم برقه أو مشاهدتهم للمراكب الراسية في موانئ الإقليم، عندما تتم مقايضة ما تحمله من بضائع ومنتجات بالبضائع المحلية من المنتجات والفواكه والحيوانات والملح وغيرها، حيث ذكر البكري أن أسواق مدينة اجدابيه رخيصة يقايضون البضائع بشكل موحد ، فقد قايض التجار اليهود في مرسى طلميثه السفن الراسية بالبضائع بما لديهم من المنتجات (البكري،1992م،651)، إلى جانب المقايضة في الامتعة والمنتجات عرف أهل برقه التقايض بما يملكون من دارهم للبيع كنوع من أنواع النشاط المالي في الإقليم(ابن العمري،1423م،540/3)
- التعامل بالدينار والدرهم: ظهر التعامل بالدينار في برقه قبل العصر الفاطمي، فقد ورد ذلك عند دفع خراج برقه في عهد الدولة العباسية في عهد الخليفة الرشيد، فبلغ أربعة عشر ألف دينار عن كل ضيعة والصدقات خمسة عشر ألف دينار، مما يؤكد التعامل بالدينار في عمليات البيع والشراء ودفع الخراج (اليعقوبي، 1422هـ،183)

وفي عهد الدولة الفاطمية تعامل الإقليم بالدينار خلال عمليات البيع والشراء وتحصيل الضرائب، حيث يقدر وزن الدينار بأقل من المثقال والسكة دائرية الشكل والكتابة، وله نصف دينار يسمى القيراط والربع يعرف بالخرنوقة، حيث يؤخذ الجميع بالعدد ولا يعتد في التعامل بالقطع النقدية (المقدسي، 1991م، 240)

ومن أشهر العملات الفاطمية في إقليم برقه الدينار الذهبي في عهد الخليفة المستنصر "بالله " 427-487 هـ/ 1036-1094 م" في سنة 448هـ/ 1057م، والدراهم التي سكت في برقه في عهد الخليفة المعز لدين الله " 341- 365 هـ/ 953-975 م" إلى جانب المقايضة كوسائل لدعم النشاط الاقتصادي في الإقليم (منصور، 2008م،137) كذلك دخلت الموازين والمكاييل الفاطمية في منظومة النشاط الاقتصادي خلال عمليات البيع والشراء متمثلة في الأرطال والصاع والذراع (المقدسي،1991م ،241)

فقد تمتعت برقه وماحولها بنظام اقتصادي متعدد الفروع والنشاطات، حيث اعتمد على كل المميزات الجغرافية والمناخية والصناعات والموارد المتوفرة، وتسخيرها في مجالات الإنتاج وسد الحاجات الأساسية، ومن ثم الانطلاق نحو التصدير للمنتجات المتميزة زراعية أو حيوانية أو معدنية، فيما لعبت الطرق التجارية والمحطات البحرية من الموانئ دور الوسيط التجاري مع الدول والبلدان المجاورة.

فيما شكلت المدن البرقاوية كيانات اقتصادية ومناطق حرة برقاوية في كل من طلميثة على الساحل البرقاوي وما مثله مينائها من سوق اقتصادية تربط دول العالم المجاور، فيما شكلت اجدابيه معبرا تجاريا عبر الصحراء نحو السودان وعبر الساحل نحو إقليم طرابلس والمغرب العربي، كما لعبت واحات برقه دور المعابر والممرات التجارية مع دول الصحراء للتبادل التجاري والتصدير في جميع مجالاته، إلى جانب ذلك أسس إقليم برقه نظاما ماليا متكاملا لعمليات البيع والشراء والمقايضة كأساس للنمو والازدهار الاقتصادي.

الخاتمة:

من خلال الحديث عن التطور الاقتصادي ومراحله في إقليم برقه خلال عصر الدولة الفاطمية، نجد أن سكان الإقليم لم يتنحوا عن عقائدهم الدينية ومذهبهم المالكي طول فترة الحكم الفاطمي للإقليم، بل تصدوا لكل المحاولات الهادفة لزرع العقائد الشيعية والتمدد العُبيدي في إقليم برقه وطرابلس، فكان الإقليم الغصة التي أرقت حكم الفاطميين في شمال إفريقيا ومنعت تمرير معتقداتهم إلى نفوس سكانه.

من ناحية أخرى لم يكن الولاء للفاطميين السمة السائدة في إقليم برقه، بل كان التمرد والعصيان وظهور الثورات من خصائص الإقليم الدائمة، حيث تدفقت عليه حركات المعارضة للفاطميين في مصر فكان موطنا للخارجين عن القانون في بلاد مصر لتركهم التمسك بالطاعة العمياء للحكم الفاطمي في الإقليم.

كان للفاطميين دور في تنصيب الولاة على إقليم برقه مقتصرين في ذلك على عامل الولاء السياسي للبعض من أهل الإقليم على عكس العامة المعارضين لحكمهم، كما اعتمدوا على بعض الولاة من خارج الإقليم من أهل المغرب، وذلك لم يمنع أهل برقه من الثورة على ولاة الفاطميين وخلعهم مما جعلهم في مواجهة غير متكافئة مع سلاطين الفاطميين الذين أسرفوا في قتلهم وحرقهم وتشريدهم. وبذلك حكم الفاطميين برقه بالحديد والنار وتعذيب المناوئين لحكمهم فلم يرضى أهل برقه عن حكمهم ولا عن إتباع منهجهم الشيعي المخالف لعقيدتهم المالكية.

توافرت العديد من المقومات في ازدهار النظام الاقتصادي في برقه من خلال الموقع الجغرافي المناسب في تعدد المظاهر الطبيعية، فكانت التربة عاملا مساعد في تطور الزراعة في الإقليم، وتميزت بالخصوبة وشدة الاحمرار مما ينعكس على تنوع وجودة المحاصيل الزراعية، وتوفر المراعي لزيادة الإنتاج الحيواني، فيما تعددت مصادر المياه من الأمطار والقنوات والوديان والمياه الجوفية من الآبار والعيون لتكون رافد من روافد الاقتصاد البرقاوي.

فيما تركزت الحركة الصناعية في إقليم برقه على بعض الصناعات التقليدية التي تتطلبها حياة السكان والصناعات الحرفية المساعدة على الزراعة وري الأراضي، كما عُرفت الصناعات القائمة على المعادن التي وجدت في أراضي الإقليم وتم تصديرها لبلاد مصر، كذلك نشطت الحركة التجارية في ربوع إقليم برقه من خلال الموقع الجغرافي الذي يتوسط الطريق التجاري بين المشرق والمغرب والطرق التجارية نحو بلاد السودان من جهة والطرق التجارية مع الأقاليم الليبية من جهة أخرى؛ ما جعل إقليم برقه ممرا تجاريا للقوافل نحو مناطق متفرقه ومحطة تجارية لشراء وتبادل السلع المختلفة، كذلك عرف إقليم برقه التجارة البحرية والتصدير البحري نحو بلاد مصر وبلاد المغرب العربي بما يمتلكه من موانى بحرية منتشرة على طول الساحل البحري، فكانت تصدر المنتجات بكافة أنواعها وتقام فيها الأسواق التجارية التي اعتمدت على أنظمة مختلفة للبيع والشراء.

اعتمد الاقتصاد البرقاوي على أساليب متنوعة في المعاملات التجارية والمالية منها نظام المقايضة من خلال تبادل سلعة بأخرى لإتمام عمليات البيع والشراء، فكانت معتمدة في الأسواق التجارية في المدن والواحات البرقاوية وداخل الموانئ التجارية، كذلك الدفع بالدينار الذهبي والدراهم الفضية التي ضُربت في الإقليم زمن الدولة الفاطمية، فيما استخدمت الموازيين والمكاييل كوسائل مساعدة في عمليات البيع والشراء مما يوضح طبيعة النظام النقدي ووسائل الدفع في إقليم برقه زمن سلاطين الفاطميين.

وبذلك ساد في إقليم برقه نظام اقتصادي متكامل يعتمد على مقومات طبيعية وجغرافية وتضاريسية متنوعة، في ظل نظام زراعي وصناعي وتجاري قائم على استخلاص الموارد المتوفرة، وتوظيفها لدفع عجلة النمو والازدهار الاقتصادي مع دعم سير العجلة الاقتصادية بطرق مختلفة لإتمام عمليات البيع والشراء، وتحقيق الغايات الاقتصادية لكل المزارعين والصناع والتجار في تحصيل منافعهم و رواج أسواقهم بكل الوسائل المتاحة.

المصادر والمراجع العربية:

- ابن الأثير، على بن أحمد. (1357هـ)، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ج7.
- الأنطاكي، يحي بن سعيد. (1990م)، تاريخ الأنطاكي، دار جروش برس، بيروت.
- الإدريسي، محمد بن محمد. (1996م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، دار عالم الكتب، بيروت، ج1.
- الاصطخري، إبراهيم بن محمد. (2004م)، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت. ج 2.
- البرغوثي، عبد اللطيف. (1973م)، تاريخ ليبيا الإسلامي، منشورات الجامعة الليبية، ليبيا.
- البكري، ابو عبيد الله. (1992م)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

- بالناصر، زكية. (2024م)، دراسة في تاريخ برقة الإسلامي، عين حورس للطباعة والنشر، القاهرة.
- ابن تغرى بردي، جمال الدين أبو المحاسن. (1970)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للكتاب، القاهرة، ج5.
- التيجاني، ابو شهاب الدين بن عبد الله. (1957م)، معجم الأدباء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، محمد عبد الله(1981م) رحلة التيجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.
- الحموي، شهاب الدين. (1977م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج1
- الحميري، محمد بن عبد المنعم. (1975م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (1996م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج 5
- ابن خلكان، ابو العباس. (1978م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت.
- ابن حوقل، محمد ابو القاسم. (1938م)، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ج1
- الذهبي، شمس الدين محمد. (2006م)، سير أعلام النبلاء، تقديم محمد الشبراوي، دار الحديث، القاهرة، ج 4
- الزاوي، الطاهر. (1978م)، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طرابلس.
- ابن سعيد، على بن موسى. (1970م)، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة، بيروت.
- عبده، عبد الله. (2000م)، مدينة برقة وآثارها الإسلامية، دار الأفاق العربية، القاهرة.
- عباس، احسان. (1967م)، تاريخ ليبيا منذ الفتح حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار ليبيا للنشر، بنغازي.
- ابن عذاري، ابو عبد الله محمد. (1983م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار صادر، بيروت.
- العمري، احمد بن يحيى. (1443هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ج3.
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (1987م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، بيروت، ج6.
- ابو الفداء، إسماعيل. (1980م)، المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2
- القلقشندي، أحمد بن علي. (1992م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، ج6.
- مفتاح، صالح مصطفى. (1978م)، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع، ليبيا.
- المقدسي، ابو عبد الله محمد. (1991م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،مكتبة مدبولي، القاهرة.
- المقريزي، تقي الدين أحمد. (1996م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، دار الكتب العلمية، القاهرة.
- منصور، عاطف. (2008م)، النقود الإسلامية واهميتها في دراسة التاريخ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
- الهرام، أحمد. (1997م)، التضاريس والجيومورفولوجيا، كتاب الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، تحرير الهادي بولقمة، الدار الجماهيرية للنشر، سرت.
- اليعقوبي، احمد بن إسحاق. (1422هـ)، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت.